

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: 45]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مواصلة تقرير
أحوال الظالمين

جاءت الآية معطوفة على التي قبلها، ووقعت في سياق وعيد للظالمين، وتسليّة للمظلومين بذكر أحوال الظالمين في عدم اعتبارهم بمن سبقهم من الأمم.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾: أَصْلُ (سَكَنَ): يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الاضطرابِ وَالْحَرَكَةِ⁽¹⁾. فَالسُّكُونُ ضِدُّ الْحَرَكَةِ، يُقَالُ: سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سَكُونًا، إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ⁽²⁾. وَالسَّكَنُ: اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَسْكُونِ. وَالسُّكْنَى: مَصْدَرُ سَكَنَ فَلَانُ الْبَيْتِ، إِذَا جَعَلَهُ مَقَرًّا لَهُ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ السُّكُونِ، أَيِ الْقَرَارِ⁽³⁾. وَالسَّكَنُ: الْأَهْلُ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الدَّارَ⁽⁴⁾. وَالسَّكِينَةُ: الطَّمَأْنِينَةُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالرَّزَانَةُ وَالْوَقَارُ⁽⁵⁾. وَالْمُرَادُ بِالسُّكْنَى: الْحُلُولُ⁽⁶⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

تقريع الظالمين
وتوبيخهم
لعدم اعتبارهم
بأحوال
السابقين

يقول الحق سبحانه: ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة لأنفسها بالكفر بالله من قبلكم، مثل قوم هود وقوم صالح، وتوضح لكم ما أوقعناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في القرآن لتتعظوا، فما اتعظتم بها⁽⁷⁾.

(1) ابن فارس، معاني اللغة: (سكن).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، معاني اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سكن).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/238.

(4) ابن فارس، معاني اللغة: (سكن).

(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 1/440.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/249.

(7) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 261.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الواو في: ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ عاطفة، عطفَتْ جُمْلَةً ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ على جملة ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾، والمراد بالسُّكنى: الحُلُول في أماكن الظالمين لوقت يَكْفِي للاعتاظ الاعتبار، وكُفَّار قريش كانوا يَمُرُّون بديار قوم ثمود في رحلتهم إلى الشام، وكانوا يَحْطُّون رِحَالَهُمْ هُنَاكَ، كما كانوا يَمُرُّون على ديار قوم عاد في رحلتهم إلى اليمن.

الحُلُولُ في
أماكن الظالمين
أدعى للاعتاظ
والاعتبار

والمعنى: لقد أقسمتم - أيُّها الضَّالُّون - بأنَّكم ما لُكُم من انتقال من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وحللتهم في مساكن القوم الظالمين⁽¹⁾، فكان عجيبياً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم، خالية منهم، وأنتم فيها خلفاء، ثم تقسمون مع ذلك: (ما لكم من زوال)! وعند هذا التَّبَكُّيت ينتهي المشهد، وتدرك أين صاروا، وماذا كان بعد الدُّعاء وخيبة الرَّجاء.

دلالة استعمال صيغة الماضي: ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾:

استعمل النَّظْم الكريم صيغة الماضي في ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾؛ للدلالة على تَحَقُّق السُّكنى وتأكُّدها.

سِرُّ تعدية الفعل (سَكَنَ) بحرف الظرفية:

عُدِّي الفعل (سَكَنَ) في الآية بحرف الظرفية ﴿فِي﴾، مع أنه يجيء أيضاً متعدياً بِنَفْسِهِ في قوله: ﴿فِي مَسْكِنٍ﴾؛ للدلالة على طول بقاء كُفَّار قريش وسُكَّانهم في ديار مَنْ سَبَقُوهم مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ كعادِ وثمرود، وهذا أدعى لِعِظَّتْهم واعتبارهم مِمَّا حَلَّ بأهل الظُّلْمِ والكُفْر من الأمم السابقة، لكنَّهم مع طول بقائهم واستخلافهم لِديار مَنْ سَبَقُوهم مِنْ أَهْلِ الطُّغْيَانِ لَمْ يَنْزَجِرُوا ولم يَتَّعْظُوا.

الدَّلالة على
طول بقاء
كُفَّار قريش
وسُكَّانهم في
ديار سابقهم
من الظَّالِمين

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 2/321.

بديع الجناس الاشتقافي:

دَلَّ جناس الاشتقاق في ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ﴾ على السُّكُون والاستقرار؛ لاشتراك الكلمتين في أصل المادَّة وهو السُّكُنَى من السُّكُون الذي هو اللَّبْث⁽¹⁾.

سِرُّ العدول عن الاسم الصَّريح إلى اسم الموصول:

عَدَلَ النَّظْمُ الكريم عن الاسم الصَّريح (الظالمين) إلى اسم الموصول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ للإشارة إلى علَّة ظلمهم، وبيانه أنَّ هؤلاء الظَّالِمِينَ كَمَا جَمَعَهُمْ وَصَفَ الظُّلْمَ يَجْمَعُهُمْ مِيسَمُ الْهَلَاكِ.

نُكْتَةُ التَّصْرِيحِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ: ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾:

في ذِكْرِ مَعْمُولِ الْفِعْلِ (ظَلَمَ) في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إشارة إلى أَنَّ عاقبة الظُّلْمِ الْوَحِيمَةِ تَوُؤُلُ إلى صاحبه، وفيه إشارة إلى شِدَّةِ غِيبَاءِ هؤلاء الظَّالِمِينَ، وَسَفَهَ أَحْلَامِهِمْ؛ إذ أَوْقَعُوا الظُّلْمَ على أَنْفُسِهِمْ هُمْ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْفَعُوها وَيُقَدِّمُوا لَهَا ما يَكُونُ سَبَبًا في نعيمها، لا ما يَكُونُ سَبَبًا في هلاكها.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِجَمْعِ الْقِلَّةِ (أَنْفُسُ):

وأوثر التَّعْبِيرُ بِجَمْعِ الْقِلَّةِ (أَنْفُسُ) على جَمْعِ الْكَثْرَةِ (نُفُوسُ)؛ لِلدَّلَالَةِ على حَقَارَةِ تِلْكَ الْأَنْفُسِ الْمُعْتَدِيَةِ الظَّالِمَةِ، وَأَنَّهَا أَنْفُسٌ رَخِيصَةٌ تَافِهَةٌ قَلِيلَةٌ مَهْمَا كَانَتْ كَثَرَتُهَا؛ لِظُلْمِهَا وَكُفْرِهَا وَعِنَادِهَا.

دلالة العطف في: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ عاطفةٌ على ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ والفاعل مقدَّرٌ على منطوقِ الجملة، أيَّ حالهم وذلك بالأخبار والمشاهدة، ولكم متعلقان بـ ﴿وَتَبَيَّنَ﴾.

الدَّلالة على
السُّكُون
والاستقرار

بيان أنَّ هؤلاء
الظَّالِمِينَ كَمَا
جَمَعَهُمْ وَصَفَ
الظُّلْمَ يَجْمَعُهُمْ
مِيسَمُ الْهَلَاكِ

الإشارة إلى أنَّ
عاقبة الظُّلْمِ
وخيمةٌ تَوُؤُلُ إلى
صاحبه

الدَّلالة على
حقارة تلك
الأنفس المُعْتَدِيَةِ
الظَّالِمَةِ

الجَمْعُ بين
إقامة الْحُجَّةِ
بَيْنَ دَلَائِلِ الْآثَارِ
والموعظة وتواتر
الأخبار

(1) الرَّمْخَشَرِي، الْكُشَافُ: 2/565.

والمعنى: تَبَيَّنَ لَكُمْ بِمُشَاهَدَةِ الْآثَارِ فَعَلْنَا الْعَجِيبَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ بِمَا فَعَلُوهُ مِنَ الذُّنُوبِ⁽¹⁾، وهو أَدْعَى لتوبيخهم وتقريعهم؛ حيثُ جَمَعَ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ بَيِّنَ دَلَائِلِ الْآثَارِ وَالْمُشَاهَدَةِ، ودلائل الموعظة، وتواتر الأخبار.

دلالة ذكر التَّبَيَّنَ مع كون المُشْرِكِينَ مُنْكَرِينَ مُكَذِّبِينَ:

قد يُقَالُ لِمَا ذُكِرَ: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ وَلَمْ يَكُنِ الْقَوْمُ يُقِرُّونَ بِأَنَّهُ تَعَالَى أَهْلَكُهُمْ لِأَجْلِ تَكْذِيبِهِمْ⁵.

والجواب: أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ أَوْلَئِكَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانُوا طَالِبِينَ لِلدُّنْيَا، ثُمَّ إِنَّهُمْ فَنُوا وَانْقَرَضُوا، فَعِنْدَ هَذَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا فَايِدَةَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَالوَاجِبُ الْجِدُّ وَالْإِجْتِهَادُ فِي طَلَبِ الدِّينِ، وَالوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ هَذَا أَنْ يَكُونَ خَائِفًا وَجَلًّا فَيَكُونَ ذَلِكَ زَجْرًا لَهُ⁽²⁾.

فائدة تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾:

قُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿لَكُمْ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾؛ لَلْاهْتِمَامِ بِالْمُقَدِّمِ لَهُمْ، وَهُمْ الْمُبَيَّنُّ لَهُمْ، وَالْمَضْرُوبَةُ لَهُمْ الْأَمْثَالُ لِلتَّشْوِيقِ إِلَى الْمُؤَخَّرِ.

سِرُّ إِثَارِ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾:

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ أَي: مِنْ الْإِهْلَاكِ وَالتَّذْمِيرِ وَالِاسْتِئْصَالِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَفُسُوقِهِمْ عَلَى أَنْ يُقَالَ: مَا فَعَلْنَا بِهِمْ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِيهَا حَلَّ بِسَاحَتِهِمْ مِنَ الْإِهْلَاكِ وَالْعُقُوبَةِ؛ فَـ ﴿كَيْفَ﴾ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي سِيَاقِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّعْجِيبِ.

سِرُّ إِضَافَةِ الْفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ:

وَإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى (نَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾؛ لَتَعْظِيمِ

التَّزْهِيدِ فِي
طَلَبِ الدُّنْيَا،
وَالْإِرْشَادِ إِلَى
الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ
فِي طَلَبِ الدِّينِ

الاهْتِمَامِ بِشَأْنِ
الْمُبَيَّنِّ لَهُمْ

مَجِيءُ (كَيْفَ) فِي
سِيَاقِ الْمُبَالَغَةِ
وَالْتَّعْجِيبِ

تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ
وَتَهْوِيلِهَا

(1) فتح القدير، الشَّوْكَانِيُّ: 3/120.

(2) الفخر الرَّازِيُّ، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 19/146.

الفاعل أي العقوبة وتهويلها، والتعبير بـ ﴿فَعَلْنَا﴾ مَحْمُولٌ عَلَى الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ⁽¹⁾؛ والمراد: عُقُوبَتُهُمْ، وإِهْلَاكُهُمْ.

معنى الباء، ونكتة تقديم شبه الجملة ﴿بِهِمْ﴾:

الباء هُنَا لِلإِلصَاقِ والتَّعْدِيَةِ، وَقُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿بِهِمْ﴾؛ لَتَعْيِينِ مَنْ أَوْقَعَتِ الْعُقُوبَةُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الظَّالِمُونَ.

دلالة الواو في: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾ عاطفة، والفاعل إمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْفِعْلِ ﴿وَتَبَيَّنَ﴾، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا⁽²⁾، وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ صُنُوفِ الْعَذَابِ الَّتِي هِيَ فِي الْغَرَابَةِ كَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِكُلِّ ظَالِمٍ⁽³⁾.

سُرُّ تَكَرُّرِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿لَكُمْ﴾:

كُرِّرَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿لَكُمْ﴾ مَعَ فِعْلَيَّ ﴿وَتَبَيَّنَ﴾، وَ﴿فَعَلْنَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾؛ لَتَشْدِيدِ التَّوْبِيخِ عَلَيْهِمْ؛ حَيْثُ إِنَّ الْبَيَانَ وَالْفِعْلَ كَانَ مِنْ أَجْلِهِمْ هُمْ كِي يَنْعِظُوا وَيَنْزَجِرُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدَّعُوا، بَلْ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

حقيقة الضرب ومعنى ضرب الأمثال:

الْمَثَلُ بِمَعْنَى الشَّبِيهِ، وَهُوَ تَشْبِيهُهُ لِلْحَالِ بِالْحَالِ، وَالْمُرَادُ تَشْبِيهُهُ ذَوِيهَا بِذَوِيهَا، أَوْ هُوَ بِمَعْنَى الصِّفَةِ الْعَجِيبَةِ الْغَرِيبَةِ⁽⁴⁾.

وَالضَّرْبُ: إِيقَاعُ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ، وَضَرْبُ الْمَثَلِ هُوَ مِنْ ضَرْبِ الدَّرَاهِمِ، وَهُوَ ذِكْرُ شَيْءٍ أَثَرُهُ يَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا﴾ [الزُّمَرُ: 29]، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ [الكهف: 32]، ﴿ضَرْبَ لَكُمْ

تعيين مَنْ
أوقعت العقوبة
عليهم

غرابة صنوف
العذاب

التَّشْدِيدُ
فِي التَّوْبِيخِ
لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى
الْكُفْرِ بَعْدَ
مُعَايِنَةِ مَا حَلَّ
بِالسَّابِقِينَ

الضرب المراد هنا
ذكر شيء أثره
يظهر في غيره

(1) الزَّكَوٰثِيُّ، الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ: 4/121.

(2) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرُ لِلصُّونِ: 7/127.

(3) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 3/392.

(4) الشَّهَابُ الْخَفَاجِيُّ، عُنَايَةُ الْقَاضِي: 5/277.

مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴿[التَّوْم: 28]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ [التَّوْم: 58]، ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزُّحْرَف: 57]⁽¹⁾.

سِرَّ إضافة الضَّرْب إلى ضمير العظمة والكبرياء:

معنى قوله: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾: "أي: قد رأيتم وبلغكم ما أحلَّلنا بالأُمَمِ المُكَذِّبَةِ قَبْلَكُمْ، ومع هذا لم يَكُنْ لَكُمْ فيهم مُعْتَبَرٌ، ولم يكن فيما أَوْقَعْنَا بِهِمْ مُزْدَجَرٌ لَكُمْ"⁽²⁾، وفي الإضافة إلى ضمير العظمة والكبرياء دلالة على تعظيم هذا الضَّرْب وتفخيم شأنه.

تعظيم هذا
الضَّرْبِ وتفخيم
شأنه

❖ الفروق المعجمية:

السُّكْنَى والإقامة:

يشترك كُلٌّ مِنَ السُّكْنَى والإقامة في الحُلُولِ بالمكان، والنُّزُولِ فيه، ويفترقان في المَدَّةِ، فالمَدَّةُ في السُّكْنِ أطول من المَدَّةِ في الإقامة، حيث إنَّ السُّكْنَ كما يدلُّ عليه أَصْلُ المَادَّةِ يدلُّ على السُّكُونِ، ولزوم الشَّيْء وثباته.

المَدَّةُ في السُّكْنِ
أطول من المَدَّةِ
في الإقامة

(1) الزَّائِغُ، المفردات: (ضرب).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/230.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»